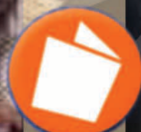
شعر

صرخات تحت قبة الأقصى

أحمد سويلم



صرخات

تحت قبة الأقصى

شعــــر

أحمد سويلم

الشاعر :أحمد سويلم

- مواليد ٨ ديسمبر ١٩٤٢ بيلا – كفـر الشـيخ – مصر.
- بكالوريوس تجارة ١٩٦٦.
- مدير عام النشر بدار المعارف.
- نائب رئيس تحرير مجلة أكتوبر.
- عضو لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة/ عضو مجلس إدارة اتحاد.

  الكتاب/ عضو نقابة الصحفيين.
- جائزة المجلس الأعلى للفنـون والآداب لشـعراء الوطن العربي الشبان.

  (١٩٦٥/ ١٩٦٦)
- كأس القباني في الشعر ١٩٦٧ – سكرتير لتحرير مجلة الشعر (٧٦-١٩٧٧).
- جائزة الدولة التشـجيعية فـي الشـعر ١٩٨٩ – الدكتوراه الفخرية في الآداب.

من الأكاديمية العالمية للثقافـة والفنـون ١٩٩٠"
كاليفورنيا " - جائزة كافافيس ١٩٩٢.

- جائزة أندلسية للثقافة والعلوم ١٩٩٧.
- مثّل كتاب مصر وشـعراءها فـي المهرجانـات الدولية والعربية..

فهرس

الفتنة

جاءني وعد عدوي.. أن أسالِم
زوقَ الأوراقَ.. والأشواقَ
حرى – والمزاعم
يا أبا موسى احترس...
أنتَ أسلمتَ سلاحي.. وابن هاشمٍ
للذي أغراك بالوعدِ
وباع الدم في سوقِ الغنائم
وأتى يهدي التمائم..
لا يفيد اليوم أن تُرفع بالسيف العمائم
يا أبا موسى اتئد
إنها الفتنةُ عادت..
تسفح الأطفالَ.. والنسوةَ
والدمع المسالم

إنها تُعلن في الأرض المواسم
للذي أقبلَ كي يطفئ عينًا
أو يحيلَ الوعد هما ومآتم
إنها تُعلن: من يسرقْ
فلا خوفَ على قَطْعِ المعاصم!

ثلاثة أصوات مدببة

الصوت الأول:

لا تسألني عن ماءِ العين
فالماء بكل الأشياء
ماء.. في الصخر
وماء.. في النهر
وماء.. في البحر
وماء.. في التلّ
وماء في السهل
وفي عيني.. ماء..
فلمن أشكو وجعي
حين يفيض الماء
ويحل الطوفان!؟

الصوت الثاني:

حين يضيقُ العالم في عيني
يصير الحجر الأصغر.. طَودا
والطود يصير بعيِني.. غيما
والغيمةُ.. أفْقاً..
لكن سماء المهمومين
حينًا تغدو حلما ونعيما
حينًا تغدو وهما وسموما
لا فرق لديهم بين الظلمةِ والنور
بين الطاعة والعصيان
بين النجم إذا يشْرقُ أو يغْرب..
.....
الكل سواء في نكبات القلب!

الصوت الثالث:

قفْ!

لا تقعد.. أو تستسلم

عشْ ممتشقًا في أقدامك

فإذا بتروا ساقيك

قفْ..

قف فوق يديك..

فإذا شُلت.. فعلى رأسك قفْ

فإذا انفجر الرأس شظايا

قف- يا مقهور – على ظهرك

فإذا كسروا الظهر

فابحث عن قوقعة أو شرنقةٍ

أو كهفٍ مهجور..

وتخلص من هذا الإنسان!

الرحيل إلى المدن الساهرة

صوتٌ زلزلني

يتسال من حلُقومي

يتشظى جمرا فوق يدي

فتحتُ عيوني اشتعل الصوتُ

جوادا عربيا

أطلقتُ جوادي للريح

احتدم الغيم.. مددتُ يدي أقبضه وشْما

أنقشه فوق جبيني..

أحفره فوق ذراعي

تنشق الأرض بعيني

يصهلُ في الليل جوادي.. يركض.. يركض

حتى انتصفَ الدرب إلى وادي الشام

- ساءلتُ البيداء الممتدةَ عن قافلةٍ

كانت ترحلُ صيفًا

ضحكتْ بيدائي.. ضحك البحر الميتُ والمتوسطُ

والقيظُ.. وسعفُ النخل..

- تذكرتُ...

الليلةَ هبتْ صاحبتي من حضني

طلبتْ جرعة ماء..

قصتْ حلْما أسهدني حتى الصبح!

الآن تأول حلْمي..!

هزيني أيتها الرؤيا المدخرةُ في ذاكرتي

سلى من قلبي هذا الشوك

انطلقي بين يدي

سيفًا عربيا.. أو صخرا

أو وجه يهودي

هزي بين يدي:

"فعلاً".. يبحثُ عن" فاعله "

نسجا عربيا يروي عن غَازله

جمرا مضفورا في سنِيله!

فأنا وجوادي صرنا المد.. الغيم

الوشم على جسدِ الذكرى..

سلي مني اللغَةَ الصعبة.

أنا لا أبغي الجولةَ خاسرةً.. أو خائنةً

أو غافيةً عن وعِيي..

هزيني.. أصنع منكِ القلب الصخري

أدرك فيه لغتي..

وصهيلَ جوادي المتْعب!.

إسراء

[إلى أطفال الحجارة]

صليتُ الفجر..

فأحسستُ الرعشةَ تسري في أعماقي

انتفض القلب الخاملُ.. شَق جدار الليل

خاطبني المَلَك النوراني:

- اتبعني يا عبد اللّه..

- لكنى لستُ نبيا، أو صِديقًا.. أو حتى عرافا.!-

صاح: اتبعني يا عبد اللّه.. ولا تسألْني..

حلق بي الملك النوراني..

ذَهلت عيناي.. وأصغت أذناي

- كان العالم من تحتي قبضةَ كف

والريح تسابيح..

ولون الشمس رذاذًا فوق غصون الأشجار

تساءلتُ: إلى أين..؟

في لمحة عين.!-

هبط الملاك النوراني..

أنزلني في صحراءٍ.. قال:

- هذا قدرك يا مسلوب الخطو

انظر قدامك أو خلفَك.. تعرفْ ماذا ينتظرك

- كانت صحراء قانيةً تَسبح في موج سراب

قلت: لعل الشمس استعرت

فقبضتُ الرملَ بكفي.. قبضتُ دما مازال نَدِيا

فارتعد القلب وزاغَتْ عيناي..

تلفت.. فلم أجِدِ الملاك النوراني

أسرعتُ.. أصيح.. أصيح.. أنادي

فارتد الصوتُ عليلاً في أعماقي..

حدقتُ النظَر طويلاً.. ثار غبار.. أخذتْه الريح بعيدا

هذا سور.. أم بيتٌ مهجور-

أسرعتُ إليه.. درتُ كثيرا حولَ السور.. تسللت

أكوام رمال..

باب مكسور.. ونوافذُ تُصفِر فيها الريح
وأحجار متناثرة
لُعب.. أوراقٌ.. أقلام.. وحقائب
رائحةٌ للموتِ.. مقاعد متخاذلةٌ..
أقمصةٌ دامية
وحكاياتٌ ناقصةٌ فوقَ شفاهِ الأطفال..
- خففتُ الوطء قليلا
يتدلى جرس من فوق جدار
مازال أبو ياسر يمسك حبلَ الجرس
وينظر في ساعته الرقمية
والأطفالُ.. أراهم في غُرف الدرس
نياما فوق موائدهم..
أو تحت موائدهم..
ينتظرون نهايةَ هذا الفصل..
وفوق السبورةِ تاريخٌ مشئوم
أخطأ كاتِبه في السنةِ الميلادية

فلم يكتب رقم الألف

(أتُراه يعني عصر الغاب

أم حاولَ عمدا أن يرتد الزمن ولا يمتدا!)

قلت: أكون أبا ياسر

وأدق الجرس الصامتَ ُأنْهي هذا الليلَ الموحش

أسرعتُ.. تعثرتُ برأسٍ صغيرٍ يتوسل

أمسكتُ الرأس أسائلُه، قال:

نحن الأطفال الشهداء

نحن حجارةُ هذا السور

ومئذنةُ الأقصى.. والساحةُ – دامية –

نحن الأجراس..وأوراقُ السادةِ فوق موائدهم

نحن اللعبةُ - خاسرةُ – في أيديكم

نحن حكاياتٌ متجددة..

فاقرع أجراسك للسادة..

لا تقْرعها للأطفال..!

....

- انهار الصمتُ بقلبي.. فتفجر جمرا

وتقاطر من عيني دموعا.. غمرتْ جمجمةَ الطفل

انطلق دخان يصاعد.. يصاعد.. ينشق:

صوت طبول.. وزئير وحوش

وشظايا..

ألقيتُ بنفسي في أقربِ حفرة..

وضممتُ إلى صدري كل جماجم أطفالي..

....

- واجهني الملَك النوراني:

(الآن تخير أقدارك!)

قلت: الجرس الصامتُ يقرع رأسي

لكن جماجم أطفالي.. تشطُرني نصفين

قال: احملْها معك الآن

واضرب كل رءوس السادة

وانثرها فوقَ موائدهم

واملأْها بشراب يوقظُ فيهم ما غاب..

وما مات!

....

لا أكذبكم يا سادتَنَا

أسريتُ الليلةَ.. واستعرتْ أعماقي

أبحث فيكم عن صِديقٍ واحد

يحمل مثلي هذا القدر الدامي

ويدقُ الأجراس.!

١٣ – ٢ – ١٩٨٨

الصياد

حدثْتُه.. حدثني

ولم يزد عن جملةٍ واحدة

ثم اختفى في الموج..

ألقيتُ ما أحملُ من شباكي

قرأتُ سورةَ البحر.. وسورةَ الصحراء

وكل ما لم تُنزل السماء

أشعلتُ فوق الشاطئ البخور

ألقيتُ التمائم المرصودة..

لكنه غاب.. وأمعن الغياب..

أنصت.. صوتُ طفلتي التي اصطفاها الموج

يوما.. وحدها..

أنصت.. صوتُ ما تقصفَتْ به الضلوع

ما يشْرقُ في الحلوق..

نزعتُ قلبي من إساره

قذفْتُه في البحر.. حتى يستجيب

زلْزلَتْ مفاصلُ البحر.. وملأ الفضاء ضِحكًا
يا أيها القاصم ظهري ألفَ مرةٍ
أريد فُلْكًا
هزأْتَ بي..
أسقطني العالم من حسابِهِ
وراهن الملح على الجمر
زلْزلَتْ مفاصلُ البحر.. وملأ الفضاء قصفاً
غامت بعيني السماء.. هل أنالُ حتْفاً
وخطوي الموءود لم يسعِفْ شباكي بعد
وطائرُ النورسِ لم يجئْ في موعده..
أنذرني البحر.. استقر تحت جلدي ملحه
ظمِئت..
قال: غاب الوطُن القديم في جوفي
كما يغيب كلُ شيء
فأدِر لي ظهرك الآن.. ولَمِلم الشباك
واحملْها على الكتْفَين..

فربما جنيةٌ تُبعثُ من قلب الرمال لك

تقولُ: (شُبيك ولبيك..)

وربما.. تصنع من خيالها الوطن..

قلت: فقدتُ القلب في موجِك

من أجل الذي يغيب

وحرفتي.. أصيد في الماء ولا أصيد في الصحراء..

زلزل البحر بضحكِه الفضاء

غامت السماء

تساقطت فوق الرمال سحبا.. وموجا

هل تصلُح الشباك أن تصيد في البحر الجديد

وطنا!.

٥ – ٦ – ١٩٨٨

سوق عكاظ

أجل الآن هذا الحداء
تتوخى القوافلُ أن تتلكأ في الظل
حتى يتم لقاء المحبين..
حتى أرى الشعراء يميلون نحو القباب
قُبيلَ الرحيل..
أجل الآن هذا النداء العليل
إنها السوقُ تنفض.. هل من سبيل
والقصائد تنزفُ أحرفَها في التلول
وثأر جديد يثور
وثار قديم يزول..
أجل الآن هذا الصراخ..
إنها السوقُ مهد الحكايات
تعصفُ حينًا بفُرسانها الفاتحين
وحينًا تفاخر بالقاعدين
ولا شيء يبقى سوى دمعاتِ الصغار

- بنا.. نَبكِ ذكرى الديار

ونبك انتظار النهار

وأوجاع من يرحلون

إن قيسا مع القاعدين

وليلَى مع النائحين

ورزء جليلةَ مازال ينبِتُ في الرمل

وردا.. وصفصافةً.. وأنين

وبين الخنادق ألفُ قتيل..

- أجل الآن ما سوف يأتي

وما سيكون..

اجل الآن هذا النواح.. وأوقفْ رياح الحنين

وحدق بأقدامِنا

بعيون الصبايا

بكل الجرار التي فَرغَتْ منذ حين

بالدماء التي لا تزالُ على صخرةٍ لا تلين

إنه الوجع المتوقد في العين

والهلَع المتجدد في القلب

والصلواتُ.. الفروض.. النوافلُ.. والسهو

والرعشاتُ بصدرِ الصغارِ المهانين

- لن يقبل ا منا التبتلَ

والرقُ في السوقِ مازال نهرا يسيل

وأشجارنا تحتفي بالعويل

وسوطٌ يهوذا

وحبلُ المشانقِ.. والقهر

ينتظر القادمين

....

- كان في البدءِ هذا الكتاب المبين

كان بين يدينا ورود اليقين..

إنه اليوم تلعقُه في الخرابِ.. الكلاب

إنه اليوم بدء.. ودرب.. وأي انتهاء

أجل الآن هذا الحداء

وابدأ الآن سوقًا نجادلُ فيها طويلا

بلا شِعرٍ.. أو قافية..

نجادل بالبندقيةِ

بالسوط..

بالحجر.. الجمر..

بالسهرِ.. الصحوِ.. في فلواتِ الشتاء

....

لست أطلب حرب البسوسِ.. ولا صافَ الأغبياء

ولسنا نُحارب من أجل ذيل بعيرٍ

ونعل حقيرٍ

وشِروى نقيرٍ

وصيحةِ فخْرٍ بوجهِ أمير

نحارب من أجل ما ضاع منا

وما بيع منا

ومن جاع منا

ومن...!

لست أبكى طلوع الحبيبةِ

أو حصيات الدمن

أجل الآن ذكر المحن..

وابدأ السوقَ – لا تستمع للوصايا –

وَأسقِطْ جدار الوثَن..

قد مضى زمن الجاهلية- فوق الرمال ضحايا –

وكلُ المفازات تنكر لون العفَن..

والذي في عيون الصغار

من القهر.. والموتِ

والأمنياتْ..

يستحق الثمن..

١٩٨٩/١/١٠

الوجع

- ماذا بعد.؟

وأنا أشهد كل الأوجهِ تتلون

والعجز على الأفواه يدمدم

ودماء السهرة فوق الأثواب..

- ماذا بعد.؟

هل آن لقلبي أن يرتاب

ويكذب ما كان.. وما غاب..

ويصدقَ أن سلام القلب

أصبح مسفوحا بالأنياب..

- ماذا بعد.؟

وأنا أتلفتُ خلفي ليل نهار

وأشد الجلد على شُريان العار

أوصد أبوابي.. وشبابيكي

لا أسمح للنور..

ولا أسمع للجار

أتأبط سكّيني في صحوى..

في نومي..

أشقى في دائرة حصار..

- ماذا بعد.؟

هل حلّتْ لعنةُ فرعون الأولى

أم حل الهم..

هل تنتظر الأقلام القصفَ

وتنتظر الأوراقُ العصفَ..

ونرضى في دنيانا زم الفم..

....

- تعالوا يا شهداء الكلمة

- أحياء.. أمواتًا –

هذا زمن الوجع الدامي

يعلن محنتَه الآن..

فاختاروا.............

اختاروا أن تحيوا زمنًا آخر..

أو..

فانكسروا عجزا فوقَ الأعناق!

بكائية

- أحد.. أحد

ما من أحد..

في الصور ينفخُ.. أو يعيد الوجه

من لون الكمد..

ما من أحد

آلى على جفْن الدماءِ

وجاء ينجز ما وعد..

والعين تشهد.. والقلوب

وأنةُ الأطفال.. والراياتُ

والصلواتُ تُذْبح فوق رملٍ يتقد..

ومآذن كسرت أذان الفجر

فانعصرت شُموس

قطرت آلامها فوق الزبد..

- الحلم كان.. ولم يعد

- والصمتُ يخْرس قادةَ الدنيا

ولو صاحت بقلبِ الليل عاهرةٌ

لَهبوا...

- إنه صوتُ الجسد!-

- أحد.. أحد

ما من أحد

لباك.. يا صوتًا يبح على حناجر لا تُعد

- ما من أحد..

يبقيك فوق مآذن الإيمان غصنًا ينعقد..

- فرسان هذا العصر.. مأجورون

- يوما لليسار..

- ويوم يغريهم يمين.. يهرعون

فما الذي يبقى لتعرفَ من عدوك من صديقُك

من تَرى فيه السنَد!

- أطفالُ هذا العصر مسفُوحون

لا يدرون من آباؤهم

أوطانُهم

يا ضيعةَ الدفءِ المجنّح.. والولد..

- كتاب هذا العصر منهوبون

هم يطلقون بخُورهم في كل زاويةٍ

وضائقةٍ

ويشيدون بروجهم

فوق الجماجمِ.. والحمائم..

يشعلون حرائق الدنيا ويجنون المدد

- حكام هذا العصر.. مقهورون

فوق المسرحِ المرسومِ

أدوار.. وأَرقام

عقاب.. أو حمار.. أو أسد

- أحد.. أحد

ويلاه.. حتى ما نَخالُ من الصدى

لفّته ريح الليل في كفنٍ

وألقته ذليلاً.. للأبد..

- اليوم نبكيه معا

أم أننا نبكي انطفاء النور في دمنا
ولون عيوننا المقهور
والقسم القديم وقد جمد
- أحد.. أحد
ما من أحد
يصحو من السكر الذي أدمى القلوب
فأصبحت فينا البدد
ما من أحد
ما من أحد!

العصمة

حين اختلفت الفقهاء على جسدي
اجتمع على رأسي طير النقمة..
أسقط عيني حصاتين..
تعبثُ بهما الأقدام بليل العتمة..
لو تلقاني يا سيدنَا الآن
لرأيت الجسد النوراني
امتلأ بثُورا..
نقره الطير وفَر إلى عش مجهول
شق دروبا..
ومسافاتٍ ضائعةً
بين الأمةِ.. والأمة..
اليوم انصهر الحلم العربي
على طاولةِ الجدل المحموم

اليوم.. استسلم حولَ المسألةِ الفقهاء

غابوا عن قبلتهم

وانصرفوا للطودِ الأعظم

انصرفوا.. يبغون العصمة!

١٥ – ٣ – ١٩٩٤

في انتظار المطر

ساعةُ الصفر آتيةٌ

والدماء على شرفةِ القلب تُنبتُ وردا

- أيها العربي الشهيد

أمازلتَ يا صاحبي في ليالي المواجع

تطلب ودا.؟

وهذى الطفولةُ تُذبح بين يديك

وساستُنا يشربون دمانا

ويخْتَلِفُون على الأنصبة..

- ساعةُ الصفر آتيةٌ

أيها العربي المغيب

هل أذهلتْك خريطةُ بيتك

تُسقطُ فيها الحوائطَ

تفقد فيها المفاتيح..

تجهلُ غرفَةَ نومك

دفء كتابك..

والوهج المتعانقَ في ضحِكات الصغار..

- أيها القاعد الآن ترقب أن يحكم ا ُ

وا ُ لا يرحم القاعدين..

أيها المترقب حكْم المرابين

تشرب في صحةِ الشهداءِ كئوسا من النفْط

- أترى.. بلغتك الجماجم في سجدةِ الفجرِ شيئا

أترى.. بلغتك الشجيراتُ عند " الخليل ":

العصافير تهجر أعشاشَها الآن

كي تتواعد فيها الصقُور..

وتملك أقدارها

تتسكع في طرقاتِ البوار..

- خارج الزمن المتلاحق نمضي

وحين يفاجئنا الغيم نصاب ذاكرةَ الأمس

والغرباء بأهدابنا يملكون البصر

- إنهم يذبحون القناديلَ..

والموج.. والشعر..

والوطن – الوهم – حلم الطفولة..

والقادم المنتظر..

- أيها القاعد المتشبثُ بالأرض

تُرى.. آن.. أن تَحتضر.!

ما الذي تملك الآن يا صاحبي

غاب صوتك..

غاب سلاحك..

غابت صلاتُك..

غابت عهودك

زلزلة الأرضِ والصمتِ..

أين؟!

وأين الخُطَى في دروب الزحام..

- أمازلت يا صاحبي تشرب النفطَ

ثم تطارد في الليل ساقطةً

ثم تغيب.. وتغمض عينيك..

- أمازلت يا صاحبي في انتظار المطر

آه يا ضيعةَ الوطن – الحلم –

يا ضيعة الزادِ..

يوم يحين السفر!!

٦ – ٣ – ١٩٩٤

صرخة عربية

- لأي عشقٍ ننتمي

.ِ

للشيطان..

للإنسان

أم للذي يجيء من داخلِنا المهدمِ

- لأي أرضٍ ننتمي

للساحل القريبِ

للقفار..

للحقولْ..

أم للذي يجيء من جدبِ القلوبِ المعتِمِ

- لأي لون ننتمي

للصمتِ

للحوار

للرصاص

أم للذي يجيء من ذُعرِ القلوب الأبكمِ

- من نحن

هل جئنا بلا هوية

حتى نُرى في رقعة الشطْرنج

كالقطيعِ المُبهمِ

- لأي شيءٍ خطونا

لأي شيءٍ وجهنا

للقبلةِ السوداء

أم للخمرةِ الصهباء

أم للعلة التي يحار العقلُ

في تفْسيرِها المحرمِ

- ها نحن.. في مواقف الرجال

شيعةٌ

وفُرقةٌ

اُ – حتى اُ –

حار في ضيِاعنا المقسمِ!

للومِ عاشِقُون

للخوفِ مدمنون..

للفخر والرثاءِ.. وارثون..

إمارةٌ على حجارةِ الشقي الأشأمِ

- ها نحن ندعو ا َ

والسماء يا رفاقُ..

أوصدتْ أبوابها الألفَ بصمتٍ محكَمِ

- ماذا تبقى اليوم..

قبض الريحِ

أم قبض الرقابِ

أم وهم الذي يحلُم مازال بعصرٍ ملْهِمِ

- متى.. متى نُفيقُ

أو.. متى نضيقُ

أو.. متى نتُوقُ

مثلَ عاشقٍ متيم

تهون عنده الحياةُ في الجحيم الُمضرمِ

ومن نكون..

من نكون في سطور المعجم

غُصة

- من يا فتى يشرح لي

قصيدةً تطْوي جناحيها

على دمٍ.. وخُطوةٍ منكسرة

- من يا فتى يسمِعنِي الصلاةَ

من شيخوخةِ الأقصى

مسكونةً بالحزن والحناجرِ المنصهرة

- هذا أوان ضل فيه العشقُ

فاستظل في جدارِ مقبرة

تفرق الأحباب فيه.. والتقى الأعداء

فانمحت ذاكرةُ الثأر القديم

جفّ الدمع في القلب

وأخرج ا ُ الشهيد من جنتهِ

لأن أصدقاءه ألقوا دماه في البحرِ

وعادوا ضاحكين في الليالي الُمقمِرة

- قد نحتفي معا

ونرفع الكئوس نشوةً معا

ونرسم ابتسامةَ الصبار في شفاه الغيد

فوق جدران القصور.. والحدودِ الُمنكرة

- قد نصطفي أنا وأنت دفترا

نكتب فيه وحدنا من واحدٍ لعشَرة

وبين هذه الأرقامِ أبجديةٌ طويلةٌ

لألف وعد مثقل بالهم.. والعواصفِ المندثرة

- يا لهوان الحرف..

وهو يشرقُ الآن بغُصةٍ ومجمرة

تأكله الذئاب في قفار القُدس..

ثم في آبارِها تَقِيؤُه

لأنه استحال حِصرِما. لا ثمرة..

التَبس الأمر علي يا فتى!

وأنا أشهد تلك الشاشة البيضاء

يا أ ُ.. رب المغفرة.!

أهكذا يخمد ومض الحرف

أم أن الذي يضيء داخلي.. هوى

وشدني إلى جب السقوط

فجذبتُ الشمس والبحر معي

وكل كل الأصدقاء.. أعدائي

وأزهقتُ الخُطى المدخرة..

-هل تستطيع بعد يا فتى تشْرح لي

أم أنت مثلي قد ُأصبتَ بالعياء

قطعتَ من قيثارك الآن

- كما قطّعتُ –

وتَره..

هل تستطيع يا فتى

هل تستطيع!!

٢١ - ١٠ – ١٩٩٣

حديث جانبي

لا أريد من البحر فُلْكًا

فكلُ الشواطئ تنكر وجهي

وحراسها يتباهون.. ضِحكًا

إنهم يدركون بأني أخافُ ركوب البحار

أقطر ملح السنين القديمةِ فوق الشواطئ

حتى أضعتُ الرواسِي..

وسلمتُ عكا..

وقايضتُ أرضا بأرضٍ

وحصنًا بحصن

ومئذنةً بجدارٍ

وشمسا بشمسٍ

وأزريتُ ملكاً

وواريتُ في الرمال ألفَ شهيدٍ

ولم أشك ضنْكا..

ورحتُ أغني لسربِ الحمامِ

يرفرفُ عند المواني..

ألوح خلفَ الحدودِ بحلمِ السلامِة

وقعتُ.. قيدا وصكا..

- هنا رايةٌ فوق سورٍ قديمٍ

جرى تحتها النهر

لكنه صب في القلب نارا

ترُى..

ما الذي جعلَ النهر يحملُ رنْقًا.. وإفكاً

- هنا قبةٌ تتشكلُ في القلب

يحملها في الفضاءِ براقُ

ولكنها الآن تهوي.. وترتد شركًا

- هنا آيةٌ من كتابٍ كريمٍ

تُؤولُ عند المرابين...

تطفئُ فينا سراج التراحم

تأتي على خُضرة الأرضِ.. دكا

- هنا خرقةٌ لنبيٍ قديم

تبوح بلونِ العشاءِ الأخير

تفوح اختناقًا.. وسفْكاً

- هنا.. وهنا..

ما الذي بعد يوقفُ هذا النزيفَ الممدد

في باطنِ الأرض

يبعثُ في ثوبها الغَض.. عكا

أتُرى حجةُ القول يا صاحبي وحدها

والمرابون لا يفقهون الأحاديث صادقة

أم تراها القواطع نرفَعها في الفضاء

ترتلُ سِفْر السنابل،.. حكما.. وفَتْكاً

- ما الذي بعد يضرم نار العيون

ويطفِئُ في القلب.. شكا

ما الذي بعد يطفئ في القلب.. شكا!؟

لا فرق

- في لحظتنا هذي يا أصحاب

بعض منا يشدو شعرا

بعض منا يرسم أحلاما خُضرا

بعض منا..

يشرب كأسا تُشعلُه سكرا

نتحاور حولَ قصائدِنا

- إن كانت شعرا..

أو كانت نثرا..

- في لحظتنا

يحملُ كلُ منا لصديقته نذْرا

يلقفُ أنجمه في قَبضتِه

يعصرها.. قَطْرا

- في لحظتنا

نشجب.. أو نحتج صراخًا

أو نشْقَى بالحكمة..

أو نغفو قَسرا..

وعلى بعد خطوطِ خريطتنا

تُسفح أكباد.. تهوى أعناقٌ

تتلوى أطفالٌ..

يتلهى السفاحون

يصلون على جثثِ القتلى - كُفرا –

- في لحظتنا..

يذبح خَطْو الإنسان على سيفُ الحكمةِ

نتوهم عالمنا طُهرا..

....

ما أشبهنا – بين شرايين خرائطنا –

ومسافاتُ الموت نمهدها

سكينًا كانت..

أو طلقاتِ رصاصٍ..

أو شعرا..

ما أشبهنا!!

فيتو!

(هناك من يهنأْ بقهرنا وهواننا ونحن لا نحرك ساكنًا)

- لك القهر يا سيدي

وأنت تَزف جنازةَ عرسِي

وتُفلح أن تعصر الآن من رئةِ الليل

كأسِي..

- لك العمر يا سيدي

لك العمر ما كان منه.. وما لم يكُن

لتطلقَ فيه خرافَك

تطلقَ فيه ذئابك

تعبثَ.. تشْرب.. تقتاتَ غَرسِي

- لك الحلْم..

نحن فقدنا قصائد قيس

وريح الصبا وهي تُقْبِلُ من حي عبس

وبين يديك القصائد

بين يديك الهوى... والقلائد

بين يديك صراخٌ

يزلزلُ جدران بيتي..

ويومي وأمسِي..

- لك البحر..

آهٍ من البحر يا سيدي

كان إلى قرب مولدِ طفلي

يقهقه بين صدور الصبايا

يزغرد في سفَر العاشقين

ولكنه اليوم شاخَ..

بقدر توابيت أجدادِنا الراحلين..

يطالبنا بالعباءةِ من سنُدسٍ ُالزهر..

ها نحن نبحث عن مغْزلٍ.. وكِياسٍ

وأنت

- بشُبيك لُبيك –

تهبطُ بين يديك العباءاتُ

يخطئُ قِبلتَنا البحر..

آهٍ من البحرِ يا سيدي..

....

- لك الأرض..

والأرض ظلّتْ زمانًا

عروسا تئن.. وتحملُ كذْبا

ولا أحد في الفيافي يجيب

ولو جرؤَ الطفلُ- في الغيبِ- يوما وصاح

تيتم قبلَ الخروجِ..

ولكنك اليوم تَسلُبها من عيونِ الصغَارِ

وتسخر..

تلقي كلاما بليغًا عن الحقِ والوعدِ..

تسخر..

نجمةُ داود تعلو حقولَ الجماجمِ والقمحِ

تسخر..

لا أحد من الفيافي يجيب...

فلا تخشَ يا سيدي

فلا تخشَ وحشَ الفيافي

لقد كان أسطورةً.. واختفى

....

- لك الحكْم..

كلُّ القضايا مؤجلةٌ

والزنازين مكتظةٌ

والقضاةُ – هنا – يرتشون..

غير أن قضيتك اليوم

ليستْ ككل القضايا

إذ الحكم يا سيدي ليس في حاجةٍ

أن يكون له من ينُاقضه

أو يعيد قراءاتَه من جديد..!

....

- لك الوطْء..

يا ما اصطفى الشعر طائفةً

من فُحول الرجالْ..

وسود أوراقَنا بذواتِ الحجالْ

ليأتي زمانُك..

يمنح صنّْفَ الرجال الخنوثَةَ والضعفَ

يا لزمان العجائب..

لا نعرفُ اليوم من يروُض الوطْء

في زمنٍ.. ليس فيه محالْ..!

- لك الطلقةُ الباقية

قد ركِبنا جوادا سفيها

حسبناه يسبقُ كل الجياد

انتشينا سريعا

فدسنا زنَاد البنَادق

كي نُشْعلَ الأفْقَ نورا

وتَنْبتُ فوق وسائد أطفالِنا

قصص... وزنَابِقْ..

ضاعتْ بنادقنا في السباق

وما عاد غيرك يا سيدي

تماك اليوم طلْقتَك الباقية..!

....

- لك العام

والشهر..

واليوم..

أعيادنا والمواسم

طالع أبراجنا والتمائم

كل الطواطم..

أوهمتنا طويلاً بقُربِ الشِّفَاء

وفي القلب زرقاء

في العين زرقاء

زرقاء فوق الروابي

تسوقُ قطيع التواريخِ

يأكلُ عشْب القلُوبِ

ويستَلّ ضوء العيون

وكنتَ الأصم

وكنا نسائلُ عنْك

وكنتَ البعيد البعيد

وأسلاك هاتِفِنا فجأةً تتوقفُ يا سيدي..

لنذوقَ مزيدا من الوهمِ

كنتَ الأصم..

ولكنك الآن وحدك تأتي بما كنتَ

تدخرُ الأمس..

والسوقُ في عصرنا..

السوقُ يا سيدي

السوقُ تشتاقُ للسلعةِ البائرة!

- الك الشعر..

ها نحن نكتب.. نكتب

سيان، ، ذكرك بالمجدِ أو بالسباب

سيان.. أوراقُ حب

أو الحرفُ ظفُر.. ونَاب..

اك الشعر

زين من نصفِ قرن خريطةَ ساسِتِك – الحلْم –

قيل لنا: الشعر أكذُبه العذْب

سقْناه يا سيدي ألف نهر وبحر..

ولكن رأسك َأسندتَ

فوق القوافي القديمةِ..

حتى استرحتَ.. امتلكتَ..

ولم تشْك داء الهموم

كما يفعلُ الشعراء!

- اك الشكر..

حينَا تحاصر أرضنا.. وتوقظُنا

أو تُذَبح أطفالنا في العراءِ

وتوقظنا..

أو تُحطم سدا ليغْرقِ بحرك

كل حضارتِنا الأوسطيةِ

توقظُنا...

أو تمد يديك لشيخٍ يراهن بالنفطِ

يمنحك الجبةَ العربيةَ

واللغة العربيةَ

والذوقَ..

والسمع

والشم

ثم تعود.. لتوقظَنا..

لك الشكر يا سيدي

ولنا نحن..

قبضةُ طينٍ من القُدس

نصنع تمثال إسرائِنا

ثم ننفخُ فيهِ..

لعل نرى السامري الجديد

لك الشكر يا سيدي

والمساء السعيد!!!

٢٢/ ٥/ ١٩٩٥

هل يفيق الرعاة؟

(إلى أسرى الوطن المقتولين بأيدي أعداء الإنسان)

أترى..
شحذَ الصقْر مخلبه
ينْبشُ الأرض عن صيحةٍ مبهمة
أم ترى.. استعرتْ أرضنا فجأة
فترامت على الرمل تلك الرقى الُملهمة..
أَو يحلُم – مازال – قلبك يا صاحبي
أن يجيء زمان
ترى البحر بحرا
وتحملُ مرساةَ رحلتِك العربيةِ
تُعلن ثأر القبائل..
صرختَه.. موسمه..
- أَو تذكر مثلي يا صاحبي
ذاك الخندقَ الحجري

وتلك العيون التي تحصد الموت
حتى وقعتَ بأسرك حيا..
وداسوا على عنقي..
حين ظنوا بأني بقايا دمٍ معتمة..
- ها هو الوقت يا صاحبي..
كسر القيد عن ساعديه
ليفيق الرعاةُ على اللوحة الفاجعة
شبِعتْ من دمانا الذئاب
والرفاتُ بجوفِ الرمال
وملح تكلس في باطن القبر
زهرة حبٍ قديمٍ تجفُ
وبعض رسائلَ قد حملتْها القَطَا
في صباح البنادق..
عين على دمعةٍ مضرمة!!
- ها هو الوقتُ يا صاحبي..
ليفيق الرعاةُ على اللوحةِ الفاجعة

ليس فيها السلام

وليس العصافير

ليس النشيد الموحد

ليسَ النخيلُ

وليس الكروم

وفي العين... والقلب..

أسر.. وقبر.. وعهد عدوٍ

وملحمةٌ مؤلمة..

- آه لو كنت أملك – مثل الرعاةِ –

لوقعت صكا بذبح الذئاب

وعلقتُ فوق المنارات منديلَ أمك

مازال يعصر فوق الرمال دمه..

- ها هو الوقت يا صاحبي

أعلن الآن صرختك المبهمة

تكتسي الآن بالأسر

والجمجمة..

لا يفيد التلعثُم في القول

لا يفيد ابتسام الشفاهِ الملطخُ بالزيفْ

في المدى.. صرخاتك

فوق الربى نجمةُ الموتِ

في البحرِ موج غريبٌ

وفي الخطو ثأر قديم

وفي الرمل رقْدتُك المرغمة!

- ما الذي بعد يبقى

ليفُيقَ الرعاةُ على اللوحةِ الفاجعة

ما الذي بعد يبقى..

لنرى مشْهد الخاتمة!!

١٧/ ٩/ ١٩٩٥

قاتل رابين

- لو كان القاتلُ عربيا

لانطفأ الحلم الموهوم بموجِ البحر

وتلونتِ الأوراقُ البيضاء

بلون الجمر

- لو كان القاتلُ عربيا

لاحتكمت نسوةُ يوسفُ للشيطان

وارتفعت ألوية العهر على ساريةِ العصر

لتحدث في المهدِ وليدي..

يصرخُ ثانيةً

أن يبلعه بطن الأم

ولا يشقى في زمن القهر..

- لو كان القاتلُ عربيا

لا نقضت فوق جِماجمنا..

كل صقور العالم

تنقرها..

تغرس فيها أشجار الصبار

وتعصِرها في قارورة جوع

تُهديها للسادة في ليلة سكْر..

- لو كان القاتل عربيا

لانكسرتْ في داخلنا أعينُنَا

تتخاذلُ

تنزفُ ملحا

وبقايا جمر..

لتفجرت الأرضُ شظايا

والرملُ.. رفاتًا وبقايا

والنفطَ- على مائدة الأطماعِ -

مساومةً وبلايا..

والأعناقُ الشامخةُ.. مطايا

والنسوةُ عند نواصِي الوطن

بغايا..

والأطفالُ عبيدا وسبايا

والحلم العربي خطايا تنخر

في الصدر

- لو كان القاتلُ عربيا

لابتسمت نجمةُ داود

على قمصان الصبية فوق الخَصر

لارتسمت في حضن هلال مآذننَا

وتعلق في أذيال مفاتنها البدر

لاتّحدتْ بشعار النسر العربي ودانتْ كلّ جسور النهر..

لتحقق وعد الوطن التائهِ

من أقصى الشرقِ..

إلى أقصى البحر

......

ساعتَها..

لو تسألني عن وطني

تحفر أظفاري في موضع قدمِي

قبرين..

قبرا للحلم الضائع

والآخر للشعر!

مقامرة

هل تجرب يا صاحبي أن تكون فتًى

في أوانٍ يقُامر بالسيفِ

ينسى صهيلَ الجيادِ القديم..

هل تجرب أن تُخْصِب القْلب

- لو مرةً –

بحنينِ الطفولةِ

في زمن شاخت الأرض فيه

وراحت تئن

ويختلُ في شفَتيها الصراخُ..

إنك الآن منْفَلِتٌ من إسارِ الطواحين

تكوي التجاعيد بين خلاياك

عل الشرايين تُفتح ثانيةً

تتسال منها طيور الخصوبةِ

همزة وصلٍ تُقرب وجهك

من ثمراتِ النضارة..

....

هأنا لا ألوم الطواويس

تختصم الكون زهوا

لا ألوم البحار التي ترسلُ الموج

يغرقُ أفراحنا حين يلتهم الشط

يودي بحلم الصغار..

لا ألوم الشوارع منهكةً بالخُطى المستبدة

بالصرخات..

وبالوجعِ المتربصِ في كل زاويةٍ

ينبتُ الآن شوكًا على الأذرع الباليةَ

....

كيف لي أن أجرب تلك الخُطى

ودِنان من القهر نجرعها

وطقوس من الموت نُشْعِلُها

واللغاتُ التي حاضنَتْنَا طويلاً

نبددها

والذي ظل في يدنا – العمر –

ينفرطُ الآن..

حباتَ رملٍ

وبعض رفاتٍ

وشيئًا من العشب محترقًا

كيف لي أن أجرب

والذي كان يسلُبني الأمسِ

ثوبي.. وحلْمي.. وخُبزي

أمد إليه يدي اليوم

أنْسى الذي كان.!!

....

- هأنذا مات في القلبِ فارسه

واستراح على باب هذا الرواقِ الجديد

أترى لو أصيح..

سيرتد للحاق صوتي

أم أن المَنَافي ستؤويه

في لِيله المستحيل!

١٨/ ٣/ ١٩٩٦

الدمى والحجارة

[إلى الطفل الذي ولد رجلاً]

لونُه عاصفةٌ

صوتُه لهب.. ورؤى جارفة

ضوء عينيه.. لؤلؤةٌ قاصفة

أسقط الوهم.. والسقْم.. والعجم

واستلهم النطفَ النازفة..

شَق صدر الفلاةِ

وألقى النُفايات

سدد من دمِه الضربةَ الخاطفة

ثمر الغابِ بين يديه..

وصبارةُ الموت

والظل – وحشًا –

إنه الآن ينحتُ صخرتَه الناسِفَة

ثم هاهو ينفخُ فيها..

فتعلو على الرمل مرفأةً

ودماء البراءةِ تقطُر منها..

وصمتُ التواريخ..

صوتُ الشهيد المعذبِ

والعربي الذي أسكن البغْض قَلب أَخيه

فأدماه في التيه..

ونحن على ضفة البحر نحتضن الموجةَ الخائفة

نتساءل: نسقط أم يسقط المعتدون

ونجلس حول الموائد

والحلم منكسر في العيون

وريح الأسى في المدى عاصفة

فوق تلك الدروبِ المتاريس

والعسس المتسرب بين سطور هويتنا

ويضيقُ بنا الدرب

يقطع نصف اللسان

فهل أقبض العربيةَ بين شفاهي

لتصبح عبريةً أو بقايا رماد
ولا شيء يبقى من الحلم
غير دموع أحبتي الراجِفة
- أيها الطفل..
يا رجل الحلم.. يا غَدنا المشْتَهى
قد عجزنا عن الحب..
جف بنا الدمع.. والنبع..
كن جمرةً قاصفة..
كل شيءٍ لدينا ذبل..
الوصايا.. طلَلْ
وخطانا.. زلَلْ
والحكايا.. مللْ
والمدى يشتعلْ
أترانا بكينا البكارةَ وهي تُفَضّ
بأعيننا الطارفة
أترانا أِلفْنَا المحاجاةَ دهرا
وحين سئمنا..
انصرفنا إلى حِكَم الكتب التالفة

أهو الجوع قبلتنا
أهو الوطن المستباح
تموتُ العصافير فيه.. نغنّي
وتجري بأنهاره كل يومٍ دماه..
نغنّي..
وتشنقُ فيه الحلوقُ.. نغنّي
وأحرفنا فوق أوراقنا واجفة
- أيها الطفل..
يا رجلَ الحلم
يا لونَنا المشْتَهى
لا تُعِرنا التفاتًا
ولا تدعِ الموتَ يزحفَ قبْلَك
وحدك..
وحدك أنتَ اللهيب المقدس
لا تنتظرنا
فنحن دمى زائفة!

٣٠/ ١٢/ ٢٠٠٠

مكابدات الصقر العربي

يقول الشاعر الأسير أبو فراس الحمداني

[وقال أصيحابي الفرار أو الردى

فقلت هما أمران أحلاهما مر]

وأقول:

- بيني وبينك يا ديار الشرق خَطْبٌ

بيني وبينك خطوة لا تستجيب

يتخاف الشعر الندي الآن

والشعر الحريق.. الجمر.. يخْترقُ الحدود

وجواده العربيُ يخفي عن عيون الراصدين حياءه

يهوى الصهيلَ المستحيل..

وأنا هنا.. صقر عليل..

بين القيود مفتت الأكباد.. منثور الأنامل

فبأي وجه أسترد الوجه..

والوعد الذي أعلنت باطلُ

- بيني وبينك يا ديار الشرق صمت..

بيني وبينك ألفُ بابٍ موصدٍ.. يأتي من الزمن العتيق

ويشيب في الزمن الذي يأتي على زهر الطريق

فبأي لون تصهل الصرخاتُ في جنبي

والجرح العنيد بمعصمي

- سوقي إلي

سوقي الذي حبسته عني شهوةُ الغرماء في الزمن العتي

وتقاسمت بيني وبينك خطوةً.. ومسافةً

من أجل كأس.. أو هوى

أو ليلة حمراء.. أو وعد شهي

- سوقي إلى النوق من أرض السخاء الهاشمية

أو من ثرى الشهداء في قدس المنارات الأبية

أو من أناشيد العيون البابلية

أو من جراحات السيوف السمهرية

أو من كتاب النيل حيث تنوح أسطره الندية

- جرح على جرح..

وقيدي شاهد كالقبر يشطرني

وأحسبه يدا أخرى تداهمني

ويصدأ سيفي المحموم.. لكن

قيدي المحموم لا يصدا

فبأي قيدٍ أُنجِز الوعدا..

- غضب على غضب

يدق جماجم الأطفال.. يصرخ..

أين أين الصقر..

أين الجمر.. أين الثأر.. أين البحر

والأمواج يقبضها الغريب

وليت للغرباء ثأرا..

- إني هنا.. عيناي تختصمان حين أطل مـن ثقـب الجدار

وتصيح أناتٌ بحضن القدس بي..

طهر دمك

حرر دمك

قطّر دمك

لكنها الأجراس تقرعني.. توزعني

وتعلن في الصباح الموت

تعلن في المساء الموت

(لا أصغي بقربي للحمام ينوح)

تفقد طعمها الأشياء

والوطن المعذب في العراء

سقطت هناك ضروسه..

واختل في فمه الصراخ..

ويضيع في الخيل.. والبيداء.. والقرطاس

والشعر الفتي

وألف فتح من قديم

ونظل في السلوى نخاف

والموسم الموعود لا يأتي

ونظل مقهورين بالصمت

موت على موت على موت

- فبأي وجه تصعد الكلمات والشهقات والدعوات

والقيد العتي بمعصمي

وموعد في الصبح يذبح

والطيور البكم وهي تنوح

والأيدي الخواء

وألف عهد لم يقم بين الرفاق

وصحائف لا تستبيح سوى الشقاق

- ما ظنكم حين الغد المغتال يقبلُ

والأسير محدق في الأمس – لم يبرح

ولم يعتقْه سيف الدولة

يشكو زمان الخوف والعلّة

يظل لا يملك حتى قوله

ولا سلام القلب أو ذُلّه

- ما ظنكم وسحائب الأيام تمحو كل شيء
يا أيها المتواعدون على السراب
أهو البكاء على المصاب
أهو الشقاق على الحجارة والخراب
يأتي بما يهب السحاب
لا شيء يجدي الآن فيما بينكم
الريح في آذانكم
تتلو سلاما من سراب
فمتى نفيق إلى الصواب..
ومتى نفك القيد من أحشائنا
ونحيله جمرا يعيد الغائبين مع التراب
هل تدركون..
أم أنكم لا تدركون؟

القاتل

كانت تتدلّى من نافذة

تقطر من عينيها سنوات النار

وحبات القلب الموءودة

والنخلات الداميةُ على جسد الصحراء

- لم تبلغ سبع سنين

لكن القلب بداخلها آلام السبعين

لم تحب على بسط من ريش الطير

فكل طيور الساحة ملقاةٌ من زمنٍ في الطرقات

لا يملك أحد أن يبعثها ثانية من هذا الموت

- فتّحت العينين على لون الشفق المخنوق

وبقايا جثث الأهل المطعونة

والذكرى الخامدة

وأحلام وئدت في سنوات المهد..

- كانت من زمن تَنْبتُ فوق الكفين

وتنمو في العينين

وترقص في قلب القلب

صارت تتدلى من نافذة

تقطر من عينيها سنوات النار

تتكوم جانبها امرأة فقدت كل الأبناء

يا أخت الخنساء

شدت أهدابك حين توقف إنسان العين

عن الدوران

فدعيني ألقاك الآن..

صاحت في وهج الصمت..

- يا ولدي..

لم يحرق قلبي فقد الأبناء

هل تعرف من قاتلنا؟

القاتل فوق جواد محمود

يتجول في دائرة العين..

يلبس في الليل عباءته الصامتة

ويطعمنا الموت نهارا

ويحدثنا من خلف جدار ينهار

عن ملاح يجهل مرفأه..

أو صياد يصرعه الموج

أو غول تهزمه عنقاء..

ويصدقه السادة كل صباح

كل مساء..

هل تعرف يا ولدي من قاتلنا الآن؟

سيان

سيانٍ ساستُنا فوق موائدهم

والسفاحون لأبنائي ليل نار

يا ولدي القاتل معلوم

القاتل معلوم..

....

أسرعت إلى النافذة

ورأس الطفلة يتدلى مازال

أدركت الآن

أني لم أكن المجنون

لكني شئت أسمي القاتل

وأصك به كل الآذان!

٥/ ٣/ ٢٠٠٢

بأي الآلاء تصدقون

النخلُ فوق النيل يسأل

والجموع العابرون أمام مئذنة الحسين

يرددون دعاءهم

ويسارعون ليخلعوا النعلين

وهؤلاء يكاتفون صفوفهم وقت الصلاة

وتردد الجدران ألف فجيعة

أدمت قلوب الآمنين

وتسربت موجا من العبرات

تعلن تارة صوت الرصاص

وتارة وجع الخنوع..

وتُطلّ أفعى من شقوق زماننا

تسعى وتزحف في قبور الأولياء

وتحيل صوت الموت قعقعة وخوفًا..

- أنا حين تسألني المدائن عن شوارعها

وعن الخطى تسعى معذبة
تدب على بقايا من رفات زماننا
أنا حين تسألني المدائن
أستوي فوق المنابر أعلن
الألم المخبأ في الحنايا
وأسوق ذكرى الموتِ وهو يطوف
يحصد ألف ألف..
فأرى دماء أحبتي فوق الرمال
أو أغرس الأشجار فيها
أثمرت وجعا وحلما غائما
وجماجما..
لكن صمت عروبتي
أمسى وشاح العار والخوف الهزيل
ورأيت صقر الأمس في سفح المنايا يستكين
والحلم مقهورا.. طعين..
فبأي آلاء الزمان تصدقون

أن النخيل معذب في أرضنا
والبحر يروي ألف موقعة
ويطوي ألف جمجمة
ويغرق كل أحلام السنين
أن الطفولة فوق رمل القدس مجهضةٌ
وأفعى الخوف تنفث سمها في العابرين
أن الذي حلَمتْ به أجدادنا
اليومَ يذبح فوق أشلاء اليتامى
والأيامى.. في العراء
فبأي آلاء الزمان تصدقون
أم أنكم صرتم حيارى.. تكتفون
أن ترفعوا الأيدي.. دعاء
أو تطلقوا الشكوى.. رجاء
أو تحملوا القتلى.. قضاء
وتصدقون وعودهم
وتؤولون صدودهم
وتهرولون إلى بريق قد يعيد عهودهم
والحرفُ في أفواهنا مر

ونبض القلب يشقى بالأنين
فبأي آلاء الزمان تصدقون
أن الرمال صحائف باحت قديما
بالذي تطوي السنون
(ما حك جلدك مثلُ ظُفرك)
فتول أنت الأمر
حرر معقلك
وانهض وطهر منهلك
ما أجهلك
لو لم تكن نمرا يراوغ سارقيه
لو لم تقم من رقدتك
وتصم سمعك عن وعود الوهم
ضاعت في الرياح
انهض وحرر معقلك
انهض وطهر منهلك

٢٨/ ١/ ٢٠٠٢

المنعطف

- أيها السادة احتملوا غضبتي
فأنا شاعر لا ُيفيق من الشعر
لا تجهضوا خطوتي..
أيها السادة.. الحلم ما عاد في قبضتي
والغناء الذي ظل عمرا جوادي
أراه كبا عند أول منعطف
وفقدتُ به قبلتي..
قيل لي: اك عمر مديد من الشعر
كنت تدق الرءوس
تطامن تيه الطواويس
بالحق والحجة
أنزل الآن هذا البلاء الثقيل
فما عاد صوتك يدمي
وما عاد للشعر وجه
يعيد العروبة للحلم والهمة..

- أيها السادة الآن

ماذا ترون معي؟

هل نسميه معتركًا للكلامِ

وفي القدس

يوسف يصرخ مازال في الجب

والذئب يلهو بقدرته

وبريق الثنايا لظًى في العيون

وإخوته ينسجون الحكايات

بالزيف والحيلةِ..

- هل نسميه عاصفةً وتمر

والأعاصير تأتي من البحر كل صباح

لتلفظ فوق الرمال الجماجم

تُنبتُ صبارة الوهم

ينقسم القلب

ينعقُ فيها غراب المنِية والوحشِة

- هل نسميه شمسا تغيم

لتشرق في جبهة الصقر

والصقر يا سادتي الآن فينا

مهيض الجناح..

تهاوى إلى السفح

هاهو يبكي انطفاء المصابيح

صمت الأغاني

احتراف التواريخ

عري المغازل

يبكي هوان العروبة في الغفوة..

- هل نسميه ضائقةً بعدها فرج وارتحال

وأرى.. الشافعي تحسر في قبره

حين أدرك أن المدى غابة

ملكتها الوحوش..

وخارطة الكون من محنة..!

- أيها السادة احتملوا زفرتي

لكأنا شربنا شهي الخمور

وضاعت بسكر العقول الحقيقةُ
حتى نَمتْ للحروف مخالب
وانصهرت في دم الشهداء المناكب
وانطفأت فوق ملح البحار عيون المحارب
- أيها السادة الغافلون
أفيقوا على صحوةٍ
ربما قد تعيد لنا الحلم في دفئه
أو تعيد لنا الخطو في عدوه
أو تضيء لنا أعين القلب والعقل
يكفي العروبة ذاك الهوان الذي
حوم الآن فوق التواريخ
في الساحة..
- أيها السادة احتملوا زفرتي
إنني حائر بين حرفي وبيني
تطول المسافة ما بيننا
وأود له أن يشق الهوان إلي

يظل بقبضة كفي

رمحا.. وغصنًا.. ووحي نبي

- أيها السادة الآن

ماذا ترون معي

إنه الآن منعطف ينزف الدم

عبر شرايين هذا الوطن

والحروف استكانت على صفحات الوهن

فماذا ترون معي..

والعروبة تذوي.. أراها

وتسقط في ذلة..

العروبة تسقط في ذِلة!

٣/ ٤/ ٢٠٠٢